مرجعيات التهميش في روايات علي المقري (المرجعية العرقية)

إعداد

تركية مطحس المقاطي

طالبة دكتوراه ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز- جدة ـ المملكة العربية السعودية

إشراف الدكتور / مصطفى تقي اللّه مايابا

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثاني (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مرجعيات التهميش في روايات علي المقري

(المرجعية العرقية)

تركية مطحس المقاطي

طالبة دكتوراه ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : talmogati@su.edu.sa

إشراف الدكتور / مصطفى تقي الله مايابا

الملخص

هذه الدراسة تدخل في إطار النقد، وقد اهتمت بدراسة مرجعيات التهميش في روايات علي المقري (المرجعية العرقية) دراسة اجتماعية وذَلِكَ من خلال التركيز على فئة المهمشين الاجتماعية كما صورها علي المقري مع بيان أحوالها وقضاياها ومعاناتها، وعلاقتها بالمجتمع.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الاجتماعي منهجًا للدراسة.

وقد مهَّدت الباحثة لهذه الدراسة بالكتابة عن مفهوم التهميش ومظاهره.

وقد توزع البحث على ثلاثة مباحث.

جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول : الألقاب الجارحة.

المبحث الثاني: المعاملة المحتقرة.

المبحث الثالث: اغتصاب الحقوق.

وختم البحث بخاتمة جاءت فيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: مرجعيات التهميش ، روايات علي المقري ، المرجعية العرقية .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

١٨٢٦

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Marginalization references in the novels of Ali Al-Muqri (the ethnic reference)

Turki Motahs Al-Maqati

PhD student, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

Email: talmogati@su.edu.sa

Supervised by Dr. Mustafa Taqi Allah Mayaba

Abstract

This study falls within the framework of criticism, and it has been concerned with studying the references of marginalization in the novels of Ali Al-Maqri (the ethnic reference) as a social study by focusing on the marginalized social category as portrayed by Ali Al-Muqri with an explanation of their conditions, issues and suffering, and their relationship to society.

The study adopted the social method as a method of study.

The researcher paved the way for this study by writing about the concept of marginalization and its manifestations.

The research was divided into three sections.

It came as follows:

The first topic: offensive nicknames.

The second topic: despised treatment.

The third topic: usurpation of rights.

The research concluded with a conclusion that included the most important results and recommendations.

Keywords: Marginalization references, Ali Al-Maqri novels, ethnic reference.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحاتُ، والصلاةُ والسلامُ عَلَى المبعوث رحمة للعباد، سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبهِ أتم السّلام والصلوات، وبعد:

فقد اشتغلت الرّوايةُ العربيّةُ عامّةً منذ زمن باكر بأحوال المجتمع المختلفة من سياسية واجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة ... إلخ؛ حتّى جعلتها تزاحم الشّعر فِي جلب اهتمام النّاسِ واستمالةِ القرّاء إليها؛ فالروائيُّ بما يجده من سعة فِي مجال السّرد عُني عناية بالغة بقضايا المجتمع، وبخاصَّة الشّرائح الدنيا والعناصر المهمّشة فِي المجتمع لأي سبب كان اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا أو فكريًّا أو دينيًّا، وفي ذَلِكَ امتثال لوظيفة الأدب وفق ما يراه أتباع مذهب الالتزام في الأدب.

فالرواية فِي مختلف بيئاتها العربيّة أفردت حيّزًا مقدّرًا لهَذِهِ الشّرائح المهملة فِي المجتمع، ورصدت ما تعانيه تلك الفئات من المجتمع، وقد تفاوت تناول الرّواية لهَذِهِ الظّاهرة بتفاوت الظّاهرة فِي المجتمع العربيّ، ولكن – بصورة عامة– قدّم عدد من كتاب هَذَا الفنّ نماذج متميزة من مثل عبده خال فِي روايته "ترمي بشرر"، ويوسف المحيميد فِي روايته "فخاخ الرّائحة"، والكاتب المغربي مُحَمَّد شكري الذي اشتهر برواياته الثلاث: "الخبز الحافي"، و"وجوه" و"الشطار". وفي السياق ذاته، استخدم علي المقري ظاهرة الطبقية كوسيلة ينفذ من خلالها إِلَى المسكوت عنه فِي المجتمع اليمنيّ، ويرصد من خلالها أحوال المهمّشين من شرائح المجتمع المختلفة رصدًا يستحق الدراسة.

مشكلة البحث:

يمثّل الرّوائي علي المقري قامة من قامات الرّواية اليمنية، بل العربيّة عامّة، وقد سلّط الضّوء فِي جانب واسع من رواياته عَلَى قضية تعد من القضايا المسكوت عنها فِي المجتمع اليمنيّ، فالمرأة -كما تصورها روايات المقري- يجب أن تكون كما يريدها الرّجل، فهي مسلوبة الحرية والإرادة، والناس طبقات أشراف وقبائل وخدم، والغني سيّد المجتمع، والمثقف وصاحب الفكر لا كلمة لَهُ أمام السّلطان، وغير ذَلِكَ من أحوال المهمّشين، كما صورّها علي المقري، وتحاول الباحثة الكشف عنها فِي هَذِهِ الدّراسة.

أهمية البحث:

تبرز أهميَّة البحث فِي جملة من الجوانب مِنْهَا:

١- تسليط الضّوء عَلَى القدرة السّرديّة الَّتِي تميّز بِهَا عَلَي المقري من خلال توظيف هَذِهِ الشّرائح المهمّشة، وفي ذَلِكَ دعوة لتسليط الضّوء عَلَى أعمال المقري الرّوائية الَّتِي جمع فِيهَا بين الهم الاجتماعي والإمتاع الأدبيّ.

٢- تكشف روايات المقري عدداً من الجوانب الاجتماعية الخفية فِي المجتمع اليمنيّ التي ترتبط بالأدب كما ترتبط بالمجتمع.

٣- تحاول الدراسة كشف الثراء المضموني الذي تتميز به روايات المقري من جهة، وتجربته الروائية التي جمعت بين الطاقة الإبداعية، وبين تقنيات الرواية المعاصرة من جهة.

٤- ساعدت ظاهرة التهميش على ظهور شخصيات جديدة اختلفت همومهم عن الهموم التقليدية للشخصية الروائية، مما جعل أثراً على العناصر الروائية الأخرى.

٥- ندرة الدراسات التي تناولت بالتحليل أعمال علي المقري الروائية.

أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف هَذَا البحث فيما يأتي:

١- الوقوف عَلَى طبقات المهمشين والشرائح الضّعيفة بحسب ما رصدتهم روايات علي المقريّ وفق ما شكلته، من سياقات ووظائف وظـواهر اجتماعية وثقافية.

٢- استبطان هَذِهِ الشّخصيات الروائية المهمشة لبيان وقع المعاناة وقساوة القهر الاجتماعي عَلَيْهَا.

٣- بيان أسلوب المقري في تصويره لهَذَا التصنيف الاجتماعيّ عَلَى هَـذِهِ الشّرائح المهمشة وما تركه فيهم من تشظّي الذّات، والشّعور بـالغبن والضيم مع ضعف الشّعور بالانتماء إِلَى المجتمع وتفشـي الجريمـة وغير ذَلِكَ.

٤- استجلاء القدرة السّرديّة لعلي المقريّ وتمكّنـه مـن أدواتـه الفنيـة المتفردة فِي كشف المسكوت عنه فِي مجتمعه اليمنيّ.

تساؤلات البحث:

هَذَا البحث يطرح عدة تساؤلات، ينطلق مِنْهَا بنـاؤه، وكانـت النّـواة لوجوده وهي:

- ما هي دلالة مفهوم التمهيش وعلاقته بالأدب؟ وما معاييره الاجتماعيـة والاقتصادية والدينية والثقافية؟ في روايات علي المقري.
- من هم المهمّشون الذين سلّط الرّوائي عليهم الضّوء؟
- ما مدى حضور هؤلاء المهمشين في روايات المقري؟
- ما القيمة الاجتماعية الَّتِي أضافها المقري إِلَى هَذِهِ الشّرائح؟
- أين يكمن المركز، وأين يتجلى الهامش، وما العلاقة بينهما؟

- هَل تمكّن المقري من المعالجة الفنية لما تعانيه هذه الشرائح المهمشة؟

منهج البحث:

من منطلق أن الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما لمجتمعه بالإضافة إلى محاولة الأديب لحل مشاكل وقضايا مجتمعه.(١) اقتضت هذه الدراسة وطبيعة الموضوع الاستعانة بالمنهج الاجتماعي الذي يعمد إلى ربط الأدب بالمجتمع ؛لأن الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السياسية والاجتماعية والثقافية.(٢)

وروايات علي المقري من المجموعات التي تستحق التركيز على آليات السرد لتغطية كافة جوانب الدراسة المقترحة.

الدراسات السّابقة:

بعد الاطلاع عَلَى المكتبات ومحركات البحث فِي الشّبكة العنكبوتية وسُؤَال المختصين لم أعثر عَلَى دراسة مختصة تناولت التهميش أو المهمشين فِي روايات علي المقري، ولكن وجدت كتابًا تناول الظّاهرة عنده ضمن ظواهر أخرى فِي الرّواية اليمنية، وهو:

"ثمانون عامًا من الرّواية فِي اليمن: قراءة في تاريخية تشكّل الخطاب الرّوائي اليمني وتحوّلاته" لعبد الحكيم مُحَمَّد صالح باقيس، وقد أشار ضمن هَذِهِ التحولات فِي الرّواية اليمنية إشارة خاطفة إِلَى ظاهرة التهميش فِي روايتي علي المقري، "طعم أسود، رائحة سوداء"، و"اليهودي الحالي"،

(١) محمد أديوان، النص والمنهج، ط١، دار الأمين، الرباط، ٢٠٠٦، ص ١٥.

(٢) بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦،ص٦٥.

ففضلًا عن أنّ هَذِهِ الإشارة موجزة فإنّ هناك روايتين غير هَذِهِ لم تشملهما الدّراسة.

كما أنّ هناك بعض الإشارات الموجزة فِي الصّحف اليومية اليمنية والخليجية إِلَى هَذِهِ الظّاهرة فِي روايات علي المقري، وبخاصَّة بعد أن وصلت روايته "طعم أسود، رائحة سوداء" إِلَى قائمة البوكر، كما أجريت معه حوارات صحفية عديدة أكّد فِيهَا تعاطيه هَذِهِ الظّاهرة فِي رواياته الأربع؛ ممّا يؤكد أنّه مسكون بقضايا المهمشين، ومن هَذِهِ الكتابات الصّحفية:

- عن المهمل والهامشي فِي روايات علي المقري، مجلة بدايات الثّقافية، العددان ١٩/١٨، خريف ٢٠١٧/ شتاء ٢٠١٨م.

ولم أجد أي دراسة أخرى اختصت بتناول هَذِهِ الظّاهرة فِي روايات المقري، ولكن هناك بحوثًا ودراسات تناولت هَذِهِ الظّاهرة فِي روايات عربية فِي بيئات أخرى، مِنْهَا:

- الواقعية وصناعة رواية المهمشين فِي المنظورين الاجتماعي والنقدي، أحلام ابن الشّيخ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، مجلة مقاليد، العدد ١٤، جوان ٢٠١٨م.

وهَذِهِ الدّراسة تناولت الظّاهرة فِي الأدبين الغربي والعربي مع التركيز عَلَى الرّواية غير أنّها لم تتناول شيئًا من ذَلِكَ فِي روايات المقري.

- الهامشي الاجتماعي فِي الأدب العربي قراءة سوسيو ثقافية، هويدا صالح، رؤية ٢٠١٥م.

- مقال صحفي بعنوان "المهمشون... كَيْفَ يعيشون فِي السّرد العربي؟ سعاد العنزي، مجلة ثقافات، ٣٠أكتوبر، ٢٠١٣م.

https://middle-east-online.com

– ندوة فكرية عن "الهامش والمهمشون فِي الرّواية العربيّة" تحدّث فِيهَا جملة من النّقاد والمهتمين فِي الرّواية، سيدي أبو زيد:

-https://ar.webmanagercenter.com

– ندوة ثقافية نقدية فِي دبي تحدّث فِيهَا جابر عصفور عن هَذِهِ الظّاهرة فِي الرّواية العربيّة تحت عنوان "المهمشون والتجريب من أبرز قضايا الرّواية العربية اليوم":

https://www.alittihad.ae/article/120281/2011

فِي ٢٨ديسمبر ٢٠١١م.

وعَلَى الرّغم من بعد جل هذه الدراسات عن وجهتي البحثية إلا أنّها تعزز اختياري من ناحية كما أني سأفيد مِنْهَا من ناحية أخرى. وأغلب هذه الدراسات مقالات وندوات تناولت المفهوم، والشخصيات كأمثلة في بعض الروايات العربية، بشكل موجز، بعكس دراستي التي ستركز على روايات علي المقري فقط، وبشكل مكثف للكشف عن صور المهمشين وقضاياهم وأهدافهم وأشكالهم .

حدود البحث:

ستتناول هَذِهِ الدّراسة روايات علي المقريّ الأربع، وهي:

١- بخور عدني، ط١، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٤م.
٢- حرمة ، ط١، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٢م.
٣- طعم أسود.. رائحة سوداء، ط١، دار السّاقي، بيروت، ٢٠٠٨م. وصلت للقائمة الطّويلة لجائزة بوكر العربية عام ٢٠٠٩م.
٤- اليهودي الحالي، ط٦، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٨م. وصلت للقائمة الطّويلة لجائزة البوكر العربية عام ٢٠١١م.

هيكل البحث:

يتكون البحث من:

المقدمة وتشمل (موضوع البحث، ومشكلة البحث، وأهميته، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، وهيكله).

التمهيد ويشمل (مفهوم التهميش، وأسبابه)

المبحث الأول – مرجعيات التهميش :

المرجعية العرقية.

أولاً: الألقاب الجارحة.

ثانياً: المعاملة المحتقرة.

ثالثاً: اغتصاب الحقوق.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

تركز الدراسة الحالية على كشف العوامل التي أدت في تهميش فئة المهمشين في المجتمع اليمني تحديداً. "هذه الفئة من السكان مجموعة ذات حدود اجتماعية شديدة القسوة في حياتها الاجتماعية والاقتصادية وتشتغل بمهنة معينة متوارثة ولكنها جماعة منغلقة على ذاتها وأصبح اختلاطها مع بقية فئات المجتمع اليمني محدوداً"(١).

و "لا شك أن طريقة معيشتهم لا ترتبط بالجانب الاجتماعي في اليمن، ولكنها ترتبط ببعض العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية التي كان لها دور بارز في استمرار عزلة هذه الفئات الاجتماعية عن بقية أبناء الشعب اليمني مما جعلها في أدنى السلم الاجتماعي اليمني"(٢).

ويرى بعض الباحثين أن الهامشية الاجتماعية "هي الوجه الآخر للفقر والبؤس والحرمان، وانعدام العدالة الاجتماعية"(٣)، وأن "علاقات الجماعات الهامشية الاجتماعية انعكاساً لظروفهم المعيشية"(٤). كما أن "وضعية التهميش في مدننا العربية ليست مجرد حالة طارئة يرجى التخلص منها على المدى القصير؛ لأنها كامنة في بناء مجتمعات شهدت نسق تحضر

---

(١) أحمد محمد شجاع الدين، الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأمني لفئة المهمشين (الأخدام) في الجمهورية اليمنية دراسة تطبيقية، جامعة صنعاء، ٢٠١٤م، ص ٢٩.

(٢) أحمد محمد شجاع الدين، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٣) عبده علي عثمان، حسن لطيف كاظم الزبيدي،التهميش الحضري في المجتمع اليمني: دراسة اجتماعية للجماعات الهامش ية في مدينتي صنعاء وعدن، المركز اليمني للدراسات الاجتماعية وبحوث العمل، ٢٠٠٤م، ص٨.

(٤) أحمد محمد شجاع الدين، مرجع سابق، ص ١٥٩.

خصوصي لم يسمح لها ببناء ذاتها لتكون قادرة على تبني منوال تنموي يكفل لها استقلاليتها"[١].

ولا يختلف الباحثون في تحديد مفهوم التهميش، فقد عرفه أحدهم بأنه: "النبذ والإقصاء من قبل جماعة بشرية أو من قبل المجتمع بأسره ضد أفراد أو جماعة ما، كالسود والفقراء والنساء وغيرهم"[٢]. ويعرفه آخر بأنّه "استبعاد ثقافي من الفضاء الجماهيري من خلال وسائل الاتصال، نتاجًا لعلاقات غير متكافئة بين الجماعات التي يتشّكل منها المجتمع"[٣].

ويذكر جون هيلز وآخرون أن "الفرد يعد مستبعدا اجتماعيا إذا كان لا يشارك في الأنشطة الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه"(٤).

ولاشكّ أنّ التهميش غير مرتبط بالاستبعاد الثقافي وحده، فقد يكون استبعادًا اجتماعيًّا مبنيًا على النسب والانتماء العرقي، وقد يكون استبعادًا دينيًّا أو طائفيًّا(٥)، أو غير ذلك من أشكال التهميش وأنواعه، فهو في أبسط تعريفاته أنّه إقصاء للآخر بأي معيار من المعايير الظالمة، وقد يكون المقصي للآخر فردًا أو جماعة، وقد تكون هذه الجماعة في هيئة مجتمع أو

---

(١) عمر الزعفوري، التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة: رؤية تحليلية من منظور بنيوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، الكويت، ع٤، م:٣٦، أبريل-يونيو، ٢٠٠٨، ص٢٠٤.

(٢) هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة وفق الأنساق الثقافية، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط١، ١٤٣٤ه/٢٠١٣م، ص ١٨.

(٣) آمال سيد طنطاوي، التهميش الاجتماعي بين آليات السيطرة الأيدولوجية وأشكال الممارسة السياسية، رسالة دكتوراه، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٩.

(٤) جون هيلز وآخرون، الاستبعاد الاجتماعي: محاولة للفهم، ترجمة: د. محمد الجوهري، عالم المعرفة العدد ٤٣، الكويت أكتوبر ٢٠٠٧، ص ٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٠، ٢٢-٢٥.

مكان، وعندئذ يكون الذي يقصي هو المركز ومن وقع عليه الإقصاء هو الهامش أو المهمش.

المرجعية العرقية:

من المرجعيات الكبرى التي اشتغلت عليها روايات المقري في الكشف عن الهامش والهامشية والمهمشين في رواياته، المرجعية العرقية، ويعرّف السيد حنفيالعرق "بأنّه عدد من الأنسال التي تلتقي أنماطها في سلسلة من الخصائص المشتركة مثل اللغة والدين والقبيلة والجنس والجنسية، وهي مجموعة تكوّن شعورًا بالانتماء لهوية واحدة مع باقي أعضاء الجماعة"(١)؛ بهذا التعريف يتوسّع حنفي في مفهومه العرق فلا يجعله محصورًا في النسب والأصل، وإنّما يتجاوز به ذلك إلى الدين واللغة.

وقد لا يشكّل هذا الانتماء معضلة في التعايش مع الآخر والاعتراف بقيمته، ولا يعدو ذلك أكثر من التباين العرقي الذي خلق الله عليه البشر وأشارت إليه الآية الكريمة "يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا(٢)"، فالتباين العرقي موجود بالفطرة التي خلق الله الناس عليها، غير أنّه بحسب الآية السابقة ونصوص إسلامية أخرى لا ينبغي أن يكون معضلة في التعايش الذي هو بمعنى التعارف في الآية الكريمة.

ولا شكّ أنّه عندما يتحوّل هذا التباين إلى شعور بالاستعلاء وفق نظرية النقاء العرقي، يصبح عقبة في التعايش مع الآخر وقبوله، وهذا ما

---

(١) السيد حنفي عوض، السياسة والمجتمع، ط٤، القاهرة، مودرن جرافيك سنتر، ٢٠٠٠م، ص ٢٤١.

(٢) سورة الحجرات،آية١٣،ص٥١٧.

يسمّى بالتمركز العرقي الذي "يشير إلى الاعتقاد بأنّ جماعة الفرد هي الأفضل بين كلّ الجماعات، وأنّها مركز كلّ شيء، بمعنى النظر إلى السلوكيات والأعراف والتقاليد التي تميّز الجماعات الأخرى من خلال منظور التقاليد والقيم الثقافية لجماعة الفرد نفسه"(١)، فهذا يمثّل الوجه السيئ للتباين العرقي الذي بدلًا من أن يكون سبيلًا للخلق والإبداع بالإفادة من القدرات المختلفة والملكات المتباينة – أصبح سبيلًا لرفض الآخر والصراع معه، بل قد يؤدي في بعض المجتمعات –كما يشير هانيالجزار– إلى "المذابح والإبادة والتمرّد والثورة والإرهاب والحرب الأهليّة وحروب التحرر الوطني والحروب ما بين الدول"(٢)؛ فمن ثمّ تصبح العرقية مخالفة للفطرة الإنسانية التي خلقها الله؛ لأنّ الإنسان بطبعه يأنس إلى أخيه الإنسان.

وتمثّل القبيلة البيئة الحاضنة لهذه المرجعية العرقيّة في المجتمع اليمني، وهي بحسب طبيعة تكوّنا؛ إذ فيها " طبقتان من البشر، إحداهما هي الطبقة الأصلية في القبيلة وهي طبقة حرة، والأخرى طبقة مستعبدة تعمل وتكدح لا عن إخلاص في العمل وإنّما بالإجبار والإكراه"(٣)، فالقبيلة من

(١) هاني الجزار، أزمة الهوية و التعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب)، ط١، الجيزة، هلا للنشر والتوزيع،٢٠١١م، ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق،ص ١٠٢.

(٣) عبدالله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المغرب: المركز الثقافي العربي،٢٠٠٩م، ص ٢٩. يرى الدكتور محمد سعيد العطار أن التركيب الاجتماعي للمجتمع اليمني من أعلى السلم الاجتماعي إلى أدناه ويشتمل الآتي: السادة ــ الأشراف ــ التجار ــ الحرفيين ــ الفلاحين ــ بقايا العبيد ــ الأخدام. ينظر: محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن: أبعاد الثورة اليمنية،ط١،بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٦٤، ص ١٠٤.

حيث هي كيان اجتماعي تمثّل بديلًا عن الأرض والموطن وتوطين الـذات[١] وضرورة جماعية فرضتها ظروف عصريّة معينة؛ وهي بحسب هذا التعريف تكون -كما يرى الغذامي- "قيمة ثقافيّة واجتماعيّة مثلها مثل العائلة والمذهب والشعب لكن ما هو نسقي وعنصري هو القبائليّة مثلها مثل الشعوبية، وهذا أساس مصطلحي يقوم عليه التصور وتنبى عليه الأفكار"[٢].

والمجتمع اليمني مجتمع قبليّ بطبيعة تكوينه، بل هو من المجتمعات العربية التي لم تزل تتمسّك بانتماءاتها العرقيّة وكافّة تفاصيل القبيلة من أعراف اجتماعية وعادات وتقاليد، ولاشكّ أنّ العرق العربي فيه هو العرق الغالب والمهيمن على بقية الأقليّات الأخرى، فمن ثمّ من الطبيعيّ بمكان أن يكون التصنيف القبلي في مجتمع بهذه الصفات هو المعيار في المفاضلة بين الناس، فيعلو عرق ويهبط عرق، ويعزّ نسب ويذلّ آخر، فالسمات العرقيّة من نسب ولون وعادات وتقاليد وغيرها هي الأسس التي تقوم بها المفاضلة بين الأفراد في مثل هذه المجتمعات، وتكاد تنمحي الميزات الشخصية.

وقد وجه الروائي علي المقري إبداعه السرديّ لتناول هذه الآفة الاجتماعية، واختّصت رواية كاملة من رواياته هي "طعم أسود.. رائحة سوداء" بالتصنيف الاجتماعي المبني على العرق، والكشف عن العلاقة بين المركز والهامش، حيث عالج مأساة الهامش الناتجة عن العرق في روايته، وقامت المرجعية العرقيّة في هذه الرواية على اللون، فعلى الرغم من وجود استعلاء قبلي كبير في المجتمع اليمني الذي يمثّل بيئة الرواية، غير أنّ

---

(١) عبدالله الغذامي، ثقافة الوهم " مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٨م، ص١٧٤.

(٢) عبدالله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص ١٠.

المقري أراد لسرديّته هذه أن تتخصّص في المرجعيّة العرقيّة المبينة على اللون الأسود تحديدًا ممثّلًا في شريحة اجتماعيّة معروفة في اليمن، تسمّى "الأخدام"[١] وهم "مجموعة عرقية غير موثقة الأصل، تحتل موقعاً اجتماعياً متدنيا"[٢]. ويمكن مقاربة هذا التهميش العرقي الذي تواجهه هذه الطبقة – بحسب معالجة الرواية – من خلال: (الألقاب الجارحة، المعاملة المحتقرة، اغتصاب الحقوق).

أولًا – الألقاب الجارحة :

لون البشرة في كثير المجتمعات يمثّل مرجعًا رئيسًا في التفريق بين الناس؛ حيث انقلب –كما يرى الغذامي "إلى شيء من الترتيب يجعل أحد الأجناس أسمى من الآخر ويتّخذ من هذه الظاهرة الجلدية الطبيعية التي دعت إلى التجمع وسيلة إلى الغض من أقدار الناس"(٣)، وخلق ذلك مركزًا وهامشًا في المجتمع الواحد، فـ:"الذين درسوا مواقف التعصّب مثلًا غالبًا ما ينظرون إلى العزلة العرقية على أنّها افتقار للتماس الحرّ المتيسّر المبني

---

(١) ذكر محمد القيرعي أن الأخدام لهم هوية عرقية واحدة وهي سلالة " الأكسوم" في الحبشة، دخلوا اليمن في القرن السادس الميلادي. ينظر: محمد القيرعي، الجمهورية اليمنية، صحيفة الجمهورية اليومية الصادرة في مدينة تعز، مقابلة صحفية لرئيس منظمة الأحرار السود، ٢٠٠٨م. وينظر: محمد القاضي، من أفقر الطبقات ولعنة التاريخ تطاردهم "الأخدام" قرون من العزلة الاجتماعية الطاحنة، صنعاء، الخميس ٢٧ محرم، ١٤٢٨هجري، العدد ١٤١١٥.

(٢) تيجي،صنعاء،٢٠٠٣م،ص١٣ التقرير الإسترا البنك الدولي، تقييم أوضاع الفقر في اليمن، المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار .

(٣) ر.د.ج. سيمونز، لون البشرة وأثره في العلاقات الإنسانية، ترجمة، علي عزت الأنصاري،ط١، القاهرة: المركزالقومي للترجمة، م٢٠٠٩، ص١١.

على أساس من المساواة الاجتماعية والحميميّة. ورغم أنّه كثيرًا ما يحدث تماس بين الأعراق المختلفة، فإنّه غالبًا ما يتضمّن تفاوتات كبيرة في الموقع الاجتماعيّ ممّا يقف عائقًا أمام تيسير التواصل العفوي الصادق، كما يتعذّر معه أن يشعر الفرد المنتسب للأقليّة بأنّ له وجودًا في النظام القائم"(١).

واللون إلى عهد قريب في كثير من المجتمعات العربية يعدّ مرجعًا من مرجعيات التمهيش العرقي، فـ"موضوع التهميش الاجتماعي الذي مورس على أساس اللون، موضوع حيويّ يكشف عن طبيعة البنية الاجتماعية، فالتهميش ليس أمرًا شخصيًّا، أو سلوكاً تكتسبه الجماعة فقط... وهو ليس موقفًا سياسيًّا فقط، ولا طبقيًّا... ولكنّه جماع كل ذلك"(٢)، وقد كان العرب "يبغضون اللون الأسود بقدر ما يحبّون اللون الأبيض، فقد وصفوا كلّ شيء ممدوح عندهم ماديًّا كان أو معنويّا بالبياض، وكان مما يمدح به الرجل أو يفتخر به أنّه أبيض... فقد كان ممّا يمدح به الرجل أنّه ابن البيضاء، بل إنّهم كانوا يفخرون بأنّ سباياهم من النساء البيض"(٣)؛ وذلك لأنّ المجتمعات العربية القديمة لا تنظر " إلى السود إلا منظور الرقّ، ولا يتعرّف

---

(١) فرويد ولورنز ولترز وسيرز وميلر وآخرون، سيكولوجية العدوان، بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة، ترجمة: عبدالكريم ناصيف، الأردن، دار منارات، للنشر، ١٩٨٦، ص١٥٣

(٢) ياسر تركي شعوان آل مدعث، "المهمشون في الرواية السعودية المعاصرة"، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها، إشراف/ أ.د.خيري دومة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١١م، ص ٢٨/ ٢٩.

(٣) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهليّ، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص١١٠.

عليهم إلا في سوق النخاسة؟!"(١) فالمجتمع الجاهلي عرف طبقة من الشعراء السود وقد سمّوهم الأغربة؛ تشبيهًا لهم بالغربان لسواد لونهم، "ويخرج هؤلاء الأغربة إلى الحياة، وقد وسمتهم الطبيعة بذلك اللون الذي يبغضه مجتمعهم، والذي لا يد لهم فيه، ولا خروج لهم منه، فإذا هو يحول منذ البدء دون أن يعترف بهم آباؤهم، ثمّ إذا هو بعد ذلك يقف صخرة تتحطّم عليها آمالهم في أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية كما يشارك غيرهم، ولا يهيئ لهم إلا فرصة ضيقة للحياة على هامش المجتمع حياة ذليلة محتقرة يخدمون فيها سادتهم، ويقومون لهم بتلك الأعمال الفرعية التي يأنفون هم من القيام بها".(٢)

وقد صوّرت رواية "طعم أسود ... رائحة سوداء" هذا الاضطهاد الاجتماعي القائم على اللون الأسود، فخلق مركزًا وهامشًا في المجتمع الواحد، المجتمع اليمنيّ، فطبقة الأخدام الذين يمثّلون (بطل) هذه الراوية لم يناولوا هذا (الشرف) إلا لسواد لونهم، فهذا اللون بقدر ما كان مصدر معاناة هذه الجماعة إلا أنّه مثّل جذوة الإبداع في هذا العمل السرديّ، ابتداءً بعنوانه الذي اتّشح بالسواد "طعم أسود.. رائحة سوداء"؛ ليتوجّه العنوان من أول وهلة إلى هذا التمهيش العرقي القائم على اللون، وقد سمّى المقري الأبطال والشخصيات بألقابها الحقيقية في المجتمع "خادم وأخدام وعبيد"(٣).

---

(١) نادر كاظم، تمثيلات الآخر، "صورة السود في المتخيّل العربيّ الوسيط"، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ص٨٩.

(٢) يوسف خليف، مرجع سابق، ص١١١.

(٣) وقد اختلف في أصول هؤلاء (الأخدام)؛ هل هم من أصول إفريقية، أم إنّهم جاؤوا إلى اليمن مع الأحباش الأثيوبيين أمن أنّهم من أحفاد الحميريين أم من أصول هندية؟(٣) أيًّا كانت أصولهم فهم من ذوي البشرة السوداء، وهذه الطبقة تمثّل شريحة اجتماعية شاذة في المجتمع اليمني القبليّ. علي المقري، طعم أسود، ص٨٠.

وقد رسمت الرواية لهذه الفئة صورة قاتمة من خلال الألقاب الجارحة التي أطلقت على المنتمين لهذه الطبقة، وللكلمة ظلال وآثار كبيرة في النفس، واللقب بخاصة مثل الاسم الذي يسم صاحبه ويعيّنه، فإذا اشتهر المرء بلقب صار علامة دالة عليه، إن هي حسنة أو قبيحة؛ وللنظرة الدونية لطبقة السود بحسب ما صورهم المقري في رواية "طعم أسود..." لقّبوا بالأخدام، وهو لقب فيه كلّ معاني الامتهان والاحتقار لهذه الفئة، وتبدأ ملامح التمهيش لهذه الطبقة في هذه الرواية تبرز من هذا اللقب الذي يتكرر بشكل متواتر، ففي مطلع الرواية يصف الراوي ربّاشًا المتهم في جريمة خيانة قائلًا :" وأنا أسمع هذه الكلمات من أحد الأخدام..."، وهذا اللقب يتنقّل مع بطلي الرواية السارد وحبيبته الدغلو، فهما عندما هربا إلى بلد آخر – بعد فعلتهما المنكرة وخوفهما افتضاح أمرهما ويصبح مصير الدغلو كمصير أختها جماله التي واجهت الرجم – بلغا حيًا جديدًا، يصفه الراوي بأنّه "عشش على مساحة نصف دائرة في القرب من الطريق التي عبرنا عليها، ربّما شعرت الدغلو بما أفكّر فيه، قالت وهي تشير بيدها:

– تشبه عشش الأخدام والرعاة في القرية.

صحيح، لو نروح إلى عندهم، إذا هم أخدام سنشرب ماء، سنسألهم عن الطريق، هم مساكين"(١).

وعلى الرغم من أنّ (الخادم) يُنظر إليه نظرة دونية بمجرد إطلاق هذا اللقب عليه؛ لما تحمله من دلالات الامتهان والاحتقار، غير أنّ الأخدام لا ينظرون إلى أنّ هذا اللقب يحمل هذه المعاني المهينة، فهذا أحدهم يقدّم طرحًا مغايرًا لهذا المفهوم الراسخ في أذهان المجتمع، يقول سرور : "الخادم

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٣٤.

عندنا يعني الحُرّ، وعليهم هم تغيير معنى الخادم في لغتهم لا نحن..."، ولعلّهم في لحظات الغضب التي لا تكون إلا نادرًا ينتفضون لكرامتهم وينكرون هذا التصنيف العرقي البغيض، فها هم عندما قتل رئيس اليمن الجنوبي "سالمين" أخذوا يتظاهرون وينشدون :

"سالمين قُدّام قُدّام

- سالمين ما أحناش أخدام"(١)

وذلك – كما قالت بهجة : " إنّ سالمين حرّر الأخدام، ورفع رؤوسهم لأول مرة ما كنش حدّ قادر يعاملنا كأخدم ناقصين، إذا في واحد أهاننا كنّا نبلّغ عنه فيأخذونه للسجن مباشرة"(٢)، وربّما كان تمسّك بعضهم بهذا اللقب وتسامحهم معه – كما هو الحال عند سرور –نوعًا من التمرّد والرفض للآخر وثقافته، ولا شكّ أنّ الشعور تولّد بعد أن أخذت قضيتهم بعدًا سياسيًّا، عندما أدرجت ضمن البرنامج السياسيّ للحزب الاشتراكي في جنوب اليمن الذي أراد أن يمحو التراتبية الطبقية بدمج الأخدام في التيار اليمني الكبير(٣)؛ أيًّا كانت التحوّلات السياسية فقد ظلّت السطوة الاجتماعية هي المحرك الذي يدير دفة العلاقة مع هذه الطبقة التي كانت مهمشة وبعيدة كلّ البعد عن المركز "مقصية من المجتمع حد النبذ بجميع تمظهراته

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص ٨٥، ٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.

(3) https://carpo-bonn.org/wp-content/uploads/2018/11/carpo_study_06_2018_al-Rubaidi_ARABIC.pdf

ودلالاته"(١)، وظلّ لقبهم (الأخدام) حاملًا لكلّ معاني الإقصاء ودلالات العنصرية والاستعلاء المبني على اللون.

ثم يأتي لقب "العبد" مرادفًا للقب "الخادم"، وكلاهما مستمد من لون البشرة، ففي الأحرف الأولى من السرد نجد في السطر الثاني لقب "العبد" مقترنًا برباش؛ ليوصف بأنّه "ربّاش العبد"(٢)، والصورة التي رسمت لهذه الشخصية من الوهلة الأولى تكشف عن قبح اللقب من خلال سلوكه الشاذّ، اسمه ريّاس بن سعد بن سالم، ويُلقّب "العبد"، فهو يقف أمام القاضي متهمًا بالخيانة ولكنّه لا يدفع عن نفسه هذه التهمة كما هو الحال في الفطرة السليمة، وإنّما يمتدح الخيانة، فيقول: "كلنا خونة يا حضرة القاضي، الإنسان كائن خائن، لكنّه يفقد ذاته، وصفته في اللحظة التي يتمّ فيها إثبات خيانته، عندما يبدأ بممارسة خيانة جديدة يسترجع وجوده وصفته في الحال... لا يكفي أن تقول أنا خائن إذن أنا موجود، بل تقول أخون إذن أنا موجود"(٣)، وعلى الرغم من أنّه حاول أن يغوص في فلسفة بعيدة الغور ليفسّر دلالات الخيانة عنده بقوله: " كلّنا نمارس خيانة الوطن بشكل من الأشكال، ما دام يسمى وطنًا، كما هو يقوم بخيانتنا، الوطن هو الخيانة، كلّ وطن خيانة، فكرة الوطن خيانة، الحدود الوطنية خيانة، التربية الوطنية خيانة، العلم الوطني خيانة، المصلحة الوطنية خيانة، الأحزاب الوطنية خيانة، الزواج خيانة...، القوانين خيانة، التقاليد خيانة"(٤)، غير أنّ الصفات والأفعال التي

---

(١) أحمد المديني، علي المقري روائيا: لابد من [رواية] صنعا وأن طال السفر! ثقافة القدس، السنة العشرون، العدد٦١١٨،الخميس،٥فبراير،٩صفر،١٤٣٠هجري،ص١٠.

(٢) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٥

(٣) المصدرالسابق، ص٥.

(٤) المصدر السابق، ص٨ .

عُرف بها رباش العبد من خيانة واغتصاب وانتهاك حرمات وجملة من المغامرات التي دخل بسببها السجن أكثر من مرة جعلت الحاضرين لا يعبأون كثيرًا بالدلالات العميقة التي عبّر عنها، فضجّ الحاضرون معترضين على ما يقول، ويهتف أحدهم قائلًا للقاضي: "هذا خائن.. خادم خائن"(١)، ولا شكّ أنّ رباشًا يرى أنّ الوطن الذي لا ينال فيه كرامته وإنسانيته وإنما يعيش فيه على الهامش ليس جديرًا بالصون والحفظ، بل لهو جدير بالخيانة؛ بما أنّ الجميع يخونون فهو وجماعته من السود كذلك خونة.

وفي هذه الرواية يحاول سرور أن يبيّن المنزلة الوضيعة للأخدام، ويفرّق بينهم وبين العبيد، بقوله: "نحن لسنا عبيدًا، العبيد أفضل منا بكثير، فهم أعلى منّا درجة، فوق العبيد هناك اليهود، وفوق اليهود أبناء الخُمس، الدواشنة من المدّاحين والمزيّنين الحلاقين والجزّارين والحجامين والحمامين الخادمين في الحمامات والدباغين والمقهويين والمقوّتين وفوقهم القبائل وفوق القبائل المشائخ والقضاة ثمّ السادة ثمّ..." (٢) فسرور بهذا يشرّح المجتمع الذي تعيشه فيه هذه الفئة، فهو مجتمع طبقي، يقوم على المركز والهامش في كافّة جوانبه، فهو طبقات – كما بيّن سرور – أوضعهم الأخدام الذين يأتون – كما قال سرور– بعد العبيد الذين استعبدوا إما بالقوة أثناء الحروب أو بشراء الأطفال أو بسرقتهم من أهلهم(٣).

وفي مفارقة غريبة يرى سرور أنّ من أراد أن يحرّرهم كسالمين رئيس اليمن الجنوبي– عليه أن يبقيهم على ألقابهم :"لنتحرر؛ لنصبح

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"،ص٨.
(٢) المصدر السابق، ص٨٥.
(٣) المصدر السابق، ص٨٥.

أحرارًا، ولكن لماذا لا نبقى هكذا بأسمائنا: أخدام، لُحوج، شمر، أشـــافولي، سناكم، أحجور، صبيان، أخدام.. أخدام.. الخادم عندنا يعني الحرّ، وعلـــيهم هم تغيير معنى الخادم في لغتهم لا نحن"(١)، فكأنّما هذا اللقب صار جـــزءًا أصيلًا من هويتهم فهم إن تحرّروا ونالوا حريتهم فلن يتنازلوا عـــن لقـــبهم الذي هم يعتزّون به؛ إذ يعني الخادم في لغتهم الحرّ، أو بمعنى آخـــر نجـــد المثقفين منهم أمثال سرور على وعي بحقوقهم أيًّا كانت هذه الحقوق، وإن كانت مسيئة لهم كهذا اللقب المهين. فهم قد تعوّدوا على ألا ينادوا إلا بهذه الألقاب المهينة، شاؤوا ذلك أم أبوا. ويذكر السارد في "طعم أسود" أنّ أحـــد الوزراء حاول إنصافهم بتوظيفهم رسميًا بمرتبات ثابتة في مهنتهم المعروفة كنس الشوارع غير أنّهم ثاروا ذات يوم فأخذ "يخاطبهم بكلمة لم يســـمعوها من قبل، يخاطبهم كإخوته: أيها الإخوة.. أيها الإخـــوة، أيهـــا الإخـــوة"(٢)، والمفارقة أنّه "لم يسمعه أحد منهم، وهو لم يتوقّـــف ظـــلّ ينـــاديهم: أيهـــا الإخوة"(٣).

(١) المصدر السابق، ص٨٩.
(٢) المصدر السابق، ص٧٩.
(٣) المصدر السابق، ص٧٩.

ثانياً – المعاملة المحتقرة :

تصوّر رواية "طعم أسود" المعاملة القاسية التي يتلقّاها المهمشون في المجتمع اليمني، فهم لمجرد أنّهم ينتمون لهذه الفئة لا يجدون من المجتمع إلا كلّ احتقار وامتهان. فالصورة الذهنية عن الأخدام – كما تصورها هذه الرواية – أنّهم فقراء بؤساء مساكين، يسهل التعامل معهم لبساطتهم وسذاجتهم، فهم الهامش الذي يمكن لكلّ شخص أن يخترقه والعيش في وسطه، بل يأنف من يمثّل المركز مجرد العيش معهم، فيتقزز من الأكل منهم أو معهم، وقد صورت الرواية ذلك على شكل تساؤلات ترد في ذهن السارد، فـ"الخادم لا يمكن يشتغل في مقهى أو مطعم، لماذا؟ يعتبرونه قذرًا، نجسًا... حتى إذا تنظّف؟ حتّى إذا تنظّف، يقولون إنّ الواحد منهم إذا أكل مع خادم سرعان ما يجد الدود في الطعام لأنّه يتناثر من أصابع الخادم..." (١)، فلقب "الخادم" إذن لقب مرتبط بكلّ معاني الامتهان والتهميش والتحقير لمن يطلق عليه، فهو بحسب الصورة التي رسمتها الرواية تحمل دلالات اللاإنسانية بكلّ ما تعني هذه الكلمة من معان وصفات.

وقد جاءت الحكايات عن الأخدام المساجين التي سردها الخادم سرور بعد أن أطلق سراحه من السجن لترصد المعاملة القاسية التي تلاقيها هذه الفئة، فأحد هؤلاء الأخدام المساجين – كما يقول سرور – لم يجد من يضمنه من التجار ليعود يعمل في كنس ساحة السوق المركزي فقضى في السجن أربع سنوات، ودخل علّوس السجن وعمره عشر سنوات وبقي فيه ست سنوات، ولم يجد من يدفع له ألف ريال، بل أجبره أحد مسؤولي السجن على ممارسة الفاحشة معه، وآخر أرغمه شيخ القرية على الزواج الصوري

---

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٤٥.

من إحدى الخادمات وبقي الشيخ يعاشرها، فحينما رفض الخادم سرور ذلك زجّ به في السجن بتهمة السرقة(١).

فالحكايات التي يسردها سرور عن حال الأخدام المساجين تبيّن أنماطًا مختلفة من المعاملة التي يواجهها الخادم في هذا المجتمع؛ ممّا حملهم على ارتكاب ألوان من الجريمة المرتبطة بالوصمة والجانب الأخلاقي، مثل اللواط والشذوذ والسرقة والقتل بل قد يسجن أحدهم لأتفه الأسباب كعدم التعاون في الخدمة(٢)، وفي السجن "تتلقى إدارة السجن توجيهات بسجنهم بدون أحكام قانونية، أو قتلهم بدون محاكمة، ويكون بعد هدم مساكنهم وتشريدهم، وجلدهم واغتصابهم، وكذا اختطاف بناتهم وزوجاتهم واغتصابهنّ"(٣)، ويمضي سرور في رصد المعاملة القاسية التي يواجهها الخادم في السجن؛ بقوله:" يتوفى الخادم عائش من منطقة القبيطة بالسكتة القلبية، في ساحة السجن المركزي بتعزّ، فور إبلاغه بموعد تنفيذ الحكم، ورغم ذلك حملوه بعد ساعتين، وهو جثة هامدة إلى ساحة الإعدام وأطلقوا عليه ثلاث طلقات"(٤).

ولا ينتهي امتهان الخادم عند المعاملات الاجتماعية والرسمية بل يتجاوز ذلك إلى الدين، فبما أنّه خادم فهو ناقص الأهلية الدينية، يروي السارد في "طعم أسود..." : "أنّ سرور دفع بنفسه إلى مقدمة صفوف المصلين المتأخرين ليكون إمامًا لهم، لكنّه ما إن بدأ بتلاوة الشعائر حتى أمسكه أحدهم من عضده وجذبه إلى الخف صارخًا: أعوذ بالله آخر الزمان

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٥٤.
(٢) المصدر السابق، ص٥٤.
(٣) المصدر السابق، ص٥٥.
(٤) المصدر السابق، ص٥٥.

يؤم بنا خادم"(١)، وأخذ دون جدوى يصيح في الذين أنكروا إمامته :"أين المساواة.. أين قول النبي لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى. أين. أين؟(٢)، الخادم وإن كان الهامش يُنظر إليه هذه النظرة المحتقرة ويُعامل هذه المعاملة السيئة إلا أنّه كان واعيًا بحقوقه، مدافعًا عنها، فاحتجاج سرور على هذا الامتهان الديني القائم على العرق دليل بيّن على ذلك، يقول السارد:" صرت أعرف الرفض الكامل في صدور الأخدام لكلّ من حولهم..."(٣).

ويتّصل بالمعاملة القاسية النظرة الدونية المجسدة لكلّ معاني الامتهان والاحتقار حتّى انعكست تلك في بناء أساطيرهم وخرافاتهم عن هذه الطبقة المهمشة، فيروي السارد أنّ "الملك أحبّ ابنة المزيّن مرجان فتزوّجها، وفي صباح اليوم الثاني وجدوه تحوّل على دود... لأنّه جامعها .هي ناقصة. ما تساويش مقامه"(٤)، ثمّ يؤكّد ذلك في موضع آخر بقول صريح "وإذا تزوّج إنسان ابنة مزيّن شتحوّل دود؟ أيوه يا بني المزينين ناقصين على جميع الخلق، من شتزوّج بناتهن، إذا كان الله خلقهم ناقصات؟ يتزوّجن من مزينين مثلهن، أو يتزوجن الجنّ"(٥)، وحكاياتهم في ذلك تذهب بعيدًا ويربطون بحادثة خيالية محضة، وهي أنّ صبيًا جنيًّا تزوّج فتاة من هذه الطبقة المهمشة فـ" فتوالدا وتكاثرا واختلط أحفادهما بين الناس والجانّ، إلا أنّ

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٧٠.
(٢) المصدر السابق، ص٧٠.
(٣) المصدر السابق، ص٩.
(٤) المصدر السابق، ص١٣.
(٥) المصدر السابق، ص١٤.

الإنسيين والجنيين لم يقبلوا بهم، كلّ جماعة اعتبرتهم ناقصين دون مستواها، فأبقوهم عندهم لخدمتهم مزيّنين ومنظّفين للأوساخ"(١) فالنظرة الدونية لهم في الواقع كوّنت هذه الصورة الذهنية السالبة عنهم فنسجت هذه الأساطير والخرافات الساخرة.

غير أنّ سرور الخادم المستنير في هذه الطبقة لا يقبل هذا التصنيف المهين، يقول: "هل نحن من الإنس أم من الجنّ.. خلقنا الله أم الشيطان .. ليقولوا ما يقولوا.. ليقولوا إنّنا خلقنا أو جئنا حتى من جحر الحمار.. هذا لا يهمّ. لا نهتمّ إذا كنّا من أصل الذهب أم من أصل الخرى"(٢) فالعرق هو المعيار الرئيس في تحديد هوية هذا الهامش المختلف في أصله وعرقه.

ويستند المركز إلى الأساطير والخرافات الدينية لرسم الصورة القاتمة لهذه الجماعة المهمشة، فيشير الراوي في هذه الرواية أنّ أحد الخلفاء المهديين لعن السود "منذ أن تأسست الدولة المهدية في يوم الجمع الرابع عشر من رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة للهجرة فقامت بإخضاعهم العنف، واتّخاذهم خدّامًا يقومون بأداء المهن المحتقرة، وتشريدهم إلى أماكن قذرة، لا يستطيعون الخروج منها بسبب حصار المجتمع لهم، ونبذهم بعيدًا عنه، إلى خارج المدن والقرى، منذ ذلك الحين حتى الآن"(٣).

وبحسب السارد لا يختلف في هذه المعاملة الدولة عن عامة المجتمع، فهم في ذلك سواء، يمتهنون اللون الأسود حتى عبروا عن ذلك في العلم الرسمي، فسرور وأخته في "طعم أسود" يرفضان أن يُعلَّم عبدالرحمن عبده

---

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص١٦.

(٢) المصدر السابق، ص٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٨٢.

ابن عيشة الحروف الهجائية وأرقام الحساب، مستنكرًا سرور قائلًا لعبدالرحمن: "هل تريده أن يتعلم في المدرسة مثل الآخرين، أنّ اللون الأسود في العلم الوطني للدولة يرمز إلى عهد الظلام البائد، قبل إعلان الثورة والجمهورية، وأنّه يرمز إلى كلّ ما هو قبيح وبشع ومرعب وسيئ، كيف يمكن ذلك؟"(١)، فالأخدام يعيشون منفصمين عن هذا المجتمع المحتقر لعرقهم في كافة مناحي الحياة، فهم لا يجتمعون لهذه الدولة التي تضطهدهم لمجرد لونهم الأسود الذي اتخذته رمزًا لكلّ بشع وقبيح.

ويمضي سرور بعيدًا في نظراته لما يلاقيه أصحاب هذا اللون الأسود من اضطهاد، فالأزمة ليست أزمة مجتمع بقدر ما هي أزمة ثقافة، يقول عبدالرحمن عنه:" نبهني إلى أنّ الكثيرين يستخدمون كلمات مضادة للون الأسود، كقولهم : نهار أسود، يوم أسود، ثلاثاء سوداء، نقطة سوداء، حين تحصل على كارثة أو مشكلة، وإلصاقهم كلّ شيء جميل باللون الأبيض، نهار أبيض، قلب أبيض، كتاب أبيض، كذبة بيضاء"(٢)، فهو بذلك ينتقد الثقافة العربية عامة؛ إذ هي تنظر هذه النظرة السالبة إلى اللون الأسود، وكان قدر الأخدام أن يخلقوا على هذا اللون المنبوذ ثقافيًّا وعرقيًّا، كما يفهم من مقولة سرور الذي كان واقعًا تحت سيطرة النزاع بين ذاته ومجتمعه.

---

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص١١٣.

ثالثاً – اغتصاب الحقوق :

إنّ كان السجن منتهى المجرمين يلقون ما يلاقون فيه من عقاب واضطهاد، حقًّا أم باطلًا، فإنّ حياتهم خارجه لا تختلف كثيرًا؛ إذ حياتهم كلها – بحسب رواية طعم أسود – سجن كبير؛ لما يواجهون من مظالم نغّصت عليهم سعادتهم، فهم لا يعيشون إلا في العشش والأماكن الخربة، ولا يمتهنون إلا المهن الوضيعة، وتصف الرواية حياتهم بأنهم: "يكنسون القاعات والغرف من الأوراق التي يرمي بها الكتّاب والمتقاضون، وينظّفون الأوساخ التي تتناثر من الأحذية والأفواه"(١)، فحياة الأخدام – بحسب رواية طعم أسود – مليئة بالمآسي والأحزان، فـ"ابن شموس مات بعد أن بقي يبول دمًا لمدة أسبوعين وكان في الثامنة من عمره تقريبًا، كاذية بنت المسفوح في العشة المجاورة لعشة شموس كانت أكبر، ربما في العاشرة، ماتت بعد سعال دام لأشهر، وقالوا إنّه السلّ"(٢)، فهم يعيشون حياة بائسة لا يجدون فيها أدنى متطلبات الحياة الكريمة حتى اعتادوا على الموت بهذه الأمراض الناتجة عن إهمال من المركز الممهتنّ لكرامة هذا الهامش الذي لا

---

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ، ص١٠.

والأخدام "لم تختلط في المجتمع اليمني العامّ.إنّما سكنت أطراف المدن أو القرى. من ناقل القول إنّها كانت ممنوعة من الزّواجمن نساء المجتمع العامّ. المقري، الذي يصوّر هذا المجتمع في أطراف مسقط رأسه "تعز"، يفضح الفساد المنتشر فيه، ولكنّه وللحقّ يكشف عن ميول وتأييد لهذا المجتمع ويتجاوز عن عيوبه اتّجاهه من قيل البيئة "المحترمة".يظهر هذا الأمر جليّا مع نهاية الرواية،حيث يدور الحديث عن رجلين من المجتمع العامّ اللّذين تزوّجا من امرأتين من الأخدام، في خطوة تتعارض مع الضّوابط الاجتماعيّة المتّبعة، والتي لا يجرؤ أحد على خرقها". يوسف يوفال طوبي، كتب وأدباء يهود اليمن في أدب علي المقري، ترجمة فيّاض هيبي، العدد١٤، ٢٠١٩م،ص٣٤٥.

(٢) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٧٣.

قيمة لهم، وقد وصل الأخدام درجة من التماهي مع هذا الواقع حتى ألفوا الموت نفسه، فـ"لم يكونوا في العشش يرهبون الموت، حين يعلمون بوفاة رجل أو امرأة بلغا الثلاثين من عمرهما، أو أقلّ من ذلك ببضع سنوات، يعتقدون أنّها كافية لعمر الخادم وأفضل له من بقائه وهو يتعذّب من الأمراض التي تهاجمه طوال عمره..." (١). فما قيمة الحياة كما يرى سرور، إن كان يعيش فيها المرء على الهامش، ولا ينال أبسط حقوق الإنسانية؟!

ويمثّل سرور في طعم أسود مركز الوعي في الهامش، فهو يكشف عن هذه الحياة البائسة في بوح صريح، يقول السارد: "يعتقد سرور أنّ الموت طبيعي في ظلّ حياة قذرة كهذه: ننام مع أوساخنا بلا حمام، نتبرز ونبول في الأماكن نفسها التي نأكل فيها ويلعب فيها الأطفال، ملابسنا لا نغيّرها إلا حين تبلى من الأوساخ وتتقطع وتسقط عن أجسادنا من ذات نفسها، وإذا لم نجد بديلًا منها نبقى عراة، لا شيء يسترنا، حتى إنّنا لو مشينا شبه عراة في المدينة لا أحد يأبه لنا ويكسونا، يقولون إنّ هذا أمر طبيعي بالنسبة إلينا كأخدام...كيف لا نموت ونحن نشرب الماء الملوّث من المستنقع، ونأكل، أكثر ما نأكل، من الزبالة، نحترق بأدخنة الفوانيس ومحروقات القمامة، هل سيجيء يوم لدينا فيه بيوت وكهرباء ومواسير مياه تصل إلى بيوتنا، مثلنا مثل الناس الباقين"(٢)، فإن كان سرور في مطلع حديثه يشير إلى سلوك التخلّف الذي عليه جماعته من الأخدام فإنّه في ختام حديثه يحمّل المركز المسؤولية عن ذلك حين يتساءل :" كيف لا نموت

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٧٣.
(٢) المصدر السابق، ٧٤.

نشرب الماء الملوّث من المستنقع، ونأكل، أكثر ما نأكل، من الزبالة، نحترق بأدخنة الفوانيس ومحروقات القمامة، هل سيجيء يوم لدينا فيه بيوت وكهرباء ومواسير مياه تصل إلى بيوتنا، مثلنا مثل الناس الباقين"(١)، فحقوقهم مهضومة؛ إذ لا يجدون المقومات الأساسيّة للحياة من ماء وأكل صحيّ وكهرباء وبيئة نظيفة، فيقارن سرور في أسى بين قومهم الذين يمثّلون الهامش والناس الباقين الذين يمثلون المركز؛ ولهذا يرى أنّ الموت أمر طبيعيّ لهذا الهامش الذي ينتظر الموت ليهرب من هذا الجحيم الاجتماعيّ.

ويرسم السارد صورة قاتمة للأخدام ممثلة في بوح سرور بأنّهم لا يحلمون في هذه الحياة بعيش كريم كالآخرين، فسرور لا يعتقد أنّه سيجيء اليوم الذي يتساوى فيه مع المركز (الآخرين)، فهو يعيش محبطًا، بل هو مستعدّ للموت في أي حين، ولا يفرق لديه أن يكون ذلك بمرض أو طعنة أو رصاصة(٢)، طالما هذه هي أسباب موتهم، فالخادم منهم إما أن يموت بالمرض أو مقتولًا بطعنة أو رصاصة في جريمة.

والمفارقة أنّ الأخدام أنفسهم تعوّدوا على هذه المظالم وألفوها، فقد صاروا مستسلمين للخنا والضعف، يقول سرور في "طعم أسود": نحن الأخدام حتى إذا أردنا امتلاك شيء نحاول امتلاك حقنا في العبودية، عندنا مستندات وعقود تعطينا الحقّ في خدمة أمبو(٣)، ونتشاجر بيننا، عمن

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص٧٤.

(٣) كما جاء في "طعم أسود": أنّ "الأخدام يسمون المدينة وسكانها أمبّو"، علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٤٤

سيكون له السبق ... ويحظى بهذه المكرمة"(١)، ففي تصوير ساخر يظهرهم السارد أنّهم يتنازعون في صفة العبوديّة لتتضح بذلك درجة الاضطهاد الاجتماعي الذي تواجهه هذه الطبقة؛ حتى اُستلبت ثقافيًّا وصارت تركن هي نفسها لكلّ أساليب الامتهان والاضطهاد.

وفي مرات نادرة يقترب المركز من الهامش وينتصر له ويحرّره من هذه العبودية، ولكن سرعان ما تزول أحلام الهامش بزوال هذه الإشراقة النادرة، كما هو الحال في الحكاية التي ساقتها بهجة في "طعم أسود"؛ إذ تحدّثت عن دخول الأخدام إبّان رئيس اليمن الجنوبي "لأول مرة بالجيش وتوظيفهم في الدولة، وكيف تمّ تعليمهم ومحو أميّة الكثيرين منهم، دون فرق بين رجل وامرأة، وأنّ الذين كانوا يقرعون الطبول وينفخون المزامير ويغنون في الحفلات والأعراس صاروا موظّفين كفنانين في فرق للموسيقى والرقص، ولم يعد هناك أي خادم يتسوّل طالبًا صدقة من المحسنين"(٢)؛ ولهذا فإنّهم حينما غُدر بهذا الرئيس الذي منحهم هذه الحقوق ثاروا تلك الثورة، فهو قد علمّهم معنى الحرية فأحبوه، تقول بهجة :" نشتي من يحترمنا كما نحن، يحترم ثقافتنا، يحترم لوننا، طعمنا الأسود.. رائحتنا السوداء"(٣).

فحكايات بهجة وغضبات سرور تكشف عن المظالم الكبيرة التي يلاقيها هؤلاء المهمشون، يقول سرور:" سيخدّموننا بلا شيء لمئات السنين، وبعدها يقولون بكل سهولة إنّهم سيدمجوننا في المجتمع، هل نصفق للدولة

---

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص ٨٥، ٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص٨٨.

ونحن نعيش في العفن؟"(١)؛ وبهذا فإنّه يشيرون إلى الحقوق الكبيرة الضائعة والمنزلة الوضيعة التي عليها جماعته.

وقد كان سرور أكثر وجعًا ممّا تلاقيه جماعته؛ للوعي الذي ناله بترديده على السجون ومخالطته عددًا من أفراد أمبو، فهو يكشف لنا في أسى بالغ عن الأنساق الثقافية السالبة التي تكوّنت في أذهان المركز عن جماعته؛ أي الأخدام، يقول سرور: " أنا اليوم تحاورت مع ثلاثة شباب من أمبو، فذكروا لي الأمثال الشعبية التي ما زالوا يرددّونها: من صاحب الخادم أصبح نادم، والخادم أنجس من اليهودي، واغسل بعد الكلب واكسر بعد الخادم"(٢)، فهي أمثال مهينة كلّها تكرّس للاضطهاد الاجتماعي والتمييز العنصري الذي تواجهه هذه الطبقة؛ إذ هي بلونها فقط صارت أنجس من اليهودي، وأحقر من الكلب؛ إذ يغسل الإناء إن ولغ الكلب فيه، أمّا إذا أكل فيه الخادم فيُكسر.

ولعلّ الوقائع تصدق ما يدعيه سرور وما تحكيه بهجة، فالدغلو التي صارت جزءًا من هذا المجتمع المهمش بالعيش والمساكنة حينما هربا مع زوجها عبدالرحمن وسكنا في المحوى حيث يسكن الأخدام – ذات يوم تتعرض لاختطاف واغتصاب من ثلاثة ضباط ثمّ رموها جثة هامدة في طرف المدينة(٣). فهذه الطبقة لم تغتصب حقوقهم بحسب بل اغتصبت نساؤهم وانتهكت كرامتهم في أكثر من موقف حكاه سرور وروته بهجة، وتهكّمت به عيشة التي سخرت من أحد الشيوخ جاء ليوعظهم ويعلّمهم تعاليم الإسلام:

---

(١) علي المقري، "طعم أسود... رائحة سوداء"، ص٨٨.

(٢) المصدر السابق ، ص٨٩.

(٣) المصدر السابق، ص٩٥.

"قالت عيشة إنّه لم يقل لهم كيف ينظّفون أنفسهم، وهم ليسوا لديهم ماء ولا صابون أو حمامات، أو كيف لا يسرقون ولا يتسولون وليس لديهم ما يأكلونه، ابتسمت، وهي تشير إلى أنّ هذا الشيخ ألطف من جاء إلى المحوى من أمبّو، فقد دفع مبلغًا ليشتروا بعضًا من الأكل والشراب لمناسبة زيارته.. وحين علم أنّهم اشتروا قليلًا من الأكل وشراب خمر، لم يغضب..." (١)، فعيشة تارة تصدر حكاياتها عن الوعي الذي شكّل شخصية سرور الغاضبة وبهجة الثائرة، فهي بهذا النقد تعكس الجهل والتخلّف الذي عليه جماعتها؛ بسبب المركز المغتصب حقوقهم، ولا شكّ أنّ هذا الشيخ واحد منهم.

وعلى الرغم من زواج أحد رجال المركز بفتاة من الأخدام (جمعة) فإنّ ذلك لم يغيّر شيئًا في الذهنية العنصرية الرافضة لهذه الطبقة، فعبدالله ابن صاحب المطعم – كما يقول عنه عبدالرحمن – كان يتمنى الزواج من خادمة ولكنّه يخشى أباه الذي ربّما يقتله(٢)، وهكذا فقد ظل المركز يمارس كلّ أساليب الاضطهاد؛ ممّا جعل الهامش لا يألف العيش معه ولا يرضى به، وإن هم أجبروا على قبول المركز والتعايش معه فأهون عليهم–كما يذكر الراوي "أن يحنطوا نموذجًا من الأخدام، ويضعوه في زجاج متحف، ثم يتركوا ما تبقى منهم ينقرضون: عليهم أن يتحوّلوا إلى حشرات، صراصير، أو فئران إلى أي شيء، أفضل لهم من أن يتكيّفوا ويعاد تشكيلهم؛ ليصبحوا كمثل هؤلاء الذين لم يقبلوا بهم في يوم من الأيام".(٣) إنّه الشعور بالغبن من المظالم والاحتقار العظيم الذي لاقته هذه الطبقة المهمشة، شعور جعل المرء

(١) علي المقري، "طعم أسود...رائحة سوداء"، ص٩٧.
(٢) المصدر السابق، ص١١٤.
(٣) المصدر السابق، ص١١٨، ١١٩.

منهم لا يرضى بالعيش مع هذا المركز مهما حاول المركز تغيير أساليبه وتذويبه فيه، فهذا سرور يختتم الرواية بصورة مهينة لهذا الهامش الذي عاش منبوذًا بعرقه ولونه في هذا المجتمع: "أنا قرطاس في أرض، حفنة غبار، كومة قش، أما هو أنا، أنا لا شيء، أنا حذاء معلّق، حذاء مقطع مرمي في زبالة، أنا علبة فارغة، علبة مدعوسة في الطريق".

بهذه فإنّ رواية "طعم أسود .. رائحة سوداء" استطاعت أن تسلط الضوء على أزمة العرقية في المجتمع اليمني، مركّزة على اللون الأسود ممثّلًا في مأساة طبقة الأخدام، وتجلّى التمكّن السرديّ في هذه الرواية – كما قالت الكاتبة العراقية فاطمة المحسن – في أنّ المقري "اختار عالمًا غرائبيًا ، أقرب إلى مستعمرة شبة معزولة يسكنها السود منذ أزمنة غير محدودة، ويطلق عليهم أهل البلد الأخدام، أي الخدم الذين يعيشون على فتات الموائد ويفتقدون أبسط حقوقهم، هذه الرواية ذات قانون عام لا يشمل هؤلاء المساكين وحدهم، بل يكاد يكون القاعدة التي تحدد علاقة القوي بالضعيف، الأكثرية بالأقلّية، كما تحدد نوع وطبيعة العمل المُذِل والآخر المحترم..." (١)

---

(1)https://m.facebook.com/AlMuqri.Ali/posts/10153906606409888

"ومن الخصائص التي تحفز على المقاربة والاهتمام بهذه الرواية العربية الأصيلة المولودة في اليمن كما ذكر أحمد المديني:واقعيتها الحادة، واتكاؤها المتين على سنادات تاريخية حية من صميم الواقع اليماني" أحمد المديني، مرجع سابق،،ص١٠.

الخاتمة:

١- تنوعت مرجعيات التهميش في روايات المقري، ما بين الدين والعرق والعرف، كما كان للمرأة حضور فاعل.

٢- تفاقمت ظاهرة التهميش ووصلت إلى أقصى مداها من خلال المرجعية العرقية التي سلطت الضوء على الأخدام أصحاب البشرة السوداء، وخلقت مركزا وهامشا في المجتمع اليمني الواحد وما حدث لهم من تهميش في الألقاب والمعاملة والحقوق.

٣- استطاع المقري تصوير المهمشين في المجتمع بصور شتى جسدية ونفسية، خارجية وداخلية، فقد يظهر المهمش معاديا منتقما من المجتمع وقد يظهر ذليلا محبطا أو مجافيا للمجتمع متمردا عليه.

٤- وظف المقري عناصر التشكيل المختلفة في تصوير هذه الظاهرة، فاستخدم اللغة والصورة بمكوناتها المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

١- علي المقريّ، بخور عدني، ط١، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٤م.
٢- .....، حرمة ، ط١، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٢م.
٣- .....، طعم أسود.. رائحة سوداء، ط١، دار السّاقي، بيروت، ٢٠٠٨م.
٤- .....، اليهودي الحالي، ط٦، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٨م.

المراجع العربية والأجنبية:

- -عن المهمل والهامش فِي روايات علي المقري، العددان ١٨-١٩ خريف ٢٠١٧ / شتاء ٢٠١٨ https://www.bidayatmag.com/node/905
- روائيون، قضايا المهمشين وأحلامهم تهيمن عَلَى الكتابة العربيّة اليوم، مايو٤، ٢٠١٦م،http://www.kataranovels.com
- قطوس،بسام، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- _عوض، السيد حنفي، السياسة والمجتمع، ط٤، القاهرة، مودرن جرافيك سنتر، ٢٠٠٠م.
- _الجزار، هاني، أزمة الهوية والتعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب) ، ط١، الجيزة، هلا للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- _ العطار، سعيد، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن: أبعاد الثورة اليمنية، ط١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.
- الغذامي، عبدالله، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م.

- الغذامي، عبدالله، ثقافة الوهم " مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،١٩٩٨م.
- القيرعي، محمد، صحيفة الجمهورية اليومية الصادرة في مدينة تعز، الجمهورية اليمنية، مقابلة صحفية لرئيس منظمة الأحرار السود، ٢٠٠٨م.
- القاضي، محمد، من أفقر الطبقات ولعنة التاريخ تطاردهم "الأخدام" قرون من العزلة الاجتماعية الطاحنة، صنعاء. الخميس، ٢٧محرم، ١٤٢٨هجري، العدد ١٤١١٥.
- البنك الدولي، تقييم أوضاع الفقر في اليمن، المركز العام للدراسات التقرير الاستراتيجي والبحوث والإصدار، صنعاء، ٢٠٠٣م.
- سيمونز، ر.د.ج. لون البشرة وأثره في العلاقات الإنسانية، ترجمة، علي عزت الأنصاري، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م.
- آخرون، فرويد ولورنز ولترز وسيرز وميلر، سيكولوجية العدوان، بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة، ترجمة، عبدالكريم ناصيف، الأردن، دار منارات للنشر، ١٩٨٦م.
- كاظم، نادر، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربيّ الوسيط، ط١،دراسات–فكر، البحرين، ٢٠٠٤م.
- آل مدعث، ياسر تركي، المهمشون في الرواية السعودية المعاصرة، رسالة ماجستير، إشراف: خيري دومة، جامعة القاهرة، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها،٢٠١١م.
- خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م.

- المديني، أحمد، علي المقري روائيا: لابد من [رواية] صنعا وأن طال السفر! ثقافة القدس ،السنة العشرون، العدد ٦١١٨، الخميس، ٥فبراير، ٩صفر، ١٤٣٠هجري.
- طوبى، يوسف يوفال، كتب وأدباء يهود اليمن في أدب علي المقري، ترجمة، فياض هيبي، العدد ١٤، ٢٠١٩م.
- أديوان، محمد، النص والمنهج، ط١، دار الأمين، الرباط، ٢٠٠٦م.
- عثمان،عبده علي ، حسن لطيف كاظم الزبيدي،التهميش الحضري في المجتمع اليمني: دراسة اجتماعية للجماعات الهامش ية في مدينتي صنعاء وعدن، المركز اليمني للدراسات الاجتماعية وبحوث العمل، ٢٠٠٤م،
- الزعفوري، عمر، ا، التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة: رؤية تحليلية من منظور بنيوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، الكويت، ع٤، م:٣٦، أبريل–يونيو، ٢٠٠٨،
- نعمة،هاني حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة وفق الأنساق الثقافية، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط١، ١٤٣٤ه/٢٠١٣م،
- ،طنطاوي،آمال سيد، التهميش الاجتماعي بين آليات السيطرة الأيدولوجية وأشكال الممارسة السياسية، رسالة دكتوراه، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.
- جون هيلز، وآخرون، الاستبعاد الاجتماعي: محاولة للفهم، ترجمة: د. محمد الجوهري، عالم المعرفة العدد ٤٣، الكويت أكتوبر ٢٠٠٧.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٨٢٥
٢-	Abstract	١٨٢٦
٣-	المقدمة:	١٨٢٧
٤-	التمهيد :	١٨٣٤
٥-	المرجعية العرقية:	١٨٣٦
٦-	أولًا – الألقاب الجارحة :	١٨٣٩
٧-	ثانياً – المعاملة المحتقرة :	١٨٤٧
٨-	ثالثاً – اغتصاب الحقوق :	١٨٥٢
٩-	الخاتمة:	١٨٥٩
١٠-	قائمة المصادر والمراجع :	١٨٦٠
١١-	فهرس الموضوعات	١٨٦٣